

# الأمن

## عناصر الموضوع

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ١١٦ | مفهوم الأمن                    |
| ١١٧ | الأمن في الاستعمال القرآني     |
| ١١٨ | الألفاظ ذات الصلة              |
| ١٢٠ | الأساليب القرآنية في عرض الأمن |
| ١٢٨ | أنواع الأمن                    |
| ١٤٩ | آثار الأمن على الفرد والمجتمع  |

مفهوم الأمن

أولاً: المعنى اللغوي:

الأمن ضد الخوف، والمأمن: موضع الأمن، والأمن: المستجير ليأمن على نفسه<sup>(١)</sup>، والأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري من الأمن والأمان<sup>(٢)</sup>، وأمن كفرح أمناً وأماناً بفتحهما، وأمناً وأمنةً محركتين، وإمناً بالكسر، فهو آمن وأمين كفرح وأمير، ورجل أمنةً كهزمة ويحرك: يأمنه كل أحد في كل شيء<sup>(٣)</sup>، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال ما تقدم من معانٍ لغوية يتضح لنا أن كلمة الأمن لها عدة إطلاقات: فهي تعنى الطمأنينة وعدم الخوف، أو الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب، وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الغير.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

عرفه المناوي بقوله: «عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس، وزوال الخوف»<sup>(٥)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني: «أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف»<sup>(٦)</sup>.

ومن خلال هذه المعاني اللغوية والاصطلاحية تبين أن هناك ارتباطاً بينها، فالأمن ضد الخوف، وهو يعني: الأمان والطمأنينة والسكون والثقة.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/١٠٧.

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ٥/٢٠٧١.

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤/١٩٧.

(٤) انظر: المفردات، ص ٩٠.

(٥) التوقيف، المناوي، ص ٦٣.

(٦) المفردات، ص ٩٠.

## الأمن في الاستعمال القرآني

وردت مادة (أمن) في القرآن (٨٥٣) مرة، ويخص موضوع البحث منها (٤٥) مرة (١).  
والصيغ التي وردت هي:

| المثال  | عدد<br>المرات | الصيغة        |
|---|---------------|---------------|
| ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾<br>[الأعراف: ٩٧]  | ١٤            | الفعل الماضي  |
| ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾<br>[يوسف: ١١] | ٧             | الفعل المضارع |
| ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعَوْا بِهِ﴾<br>[النساء: ٨٣]             | ٧             | المصدر        |
| ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا فِي صَفْحَةٍ مِّنْ أُمَّةٍ مِّن قَبْلِكَ لَمَّا كَفَرَ يَكْفُرُونَ﴾<br>[يوسف: ٩٩]  | ١٧            | اسم الفاعل    |

وجاء الأمن في القرآن بمعناه في اللغة وهو: طمأنينة النفس وزوال الخوف (٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٨١، ٨٩.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٩٠.

الألفاظ ذات الصلة

١ الخوف:

الخوف لغة:

الخاء والواو والفاء أصلٌ واحدٌ يدل على الذعر والفرع<sup>(١)</sup>.

الخوف اصطلاحًا:

«خلاف الأمن، والأمن سكون النفس، والخوف من انزعاجها وقلقها»<sup>(٢)</sup>.

وقال التفتازاني: «غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء»<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين الأمن والخوف:

يلاحظ أن الخوف جاء على خلاف الأمن، فالعلاقة بينهما علاقة تضاد.

٢ القلق:

القلق لغة:

القاف واللام والقاف كلمة تدل على الانزعاج<sup>(٤)</sup>.

القلق اصطلاحًا:

«حالة انفعالية، تتميز بالخوف مما قد يحدث»<sup>(٥)</sup>.

الصلة بين الأمن والقلق:

القلق يدل على الانزعاج نتيجة الخوف، بخلاف الأمن الذي يدل على الطمأنينة

والسكون، فالعلاقة بينهما علاقة تضاد.

٣ الطمأنينة:

الطمأنينة لغة:

السكون بعد الانزعاج<sup>(٦)</sup>.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ٢٣٠.

(٢) الوجوه والنظائر، العسكري، ص ٢٠٣.

(٣) التوقيف، المناوي ص ١٦١.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ٢٣.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢ / ٧٥٦.

(٦) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٥٢٤.

الطمأنينة اصطلاحًا:

الاطمئنان والثقة، وعدم القلق والقرار<sup>(١)</sup>.

الصلة بين الأمن والطمأنينة:

إن الأمن معناه طمأنينة النفس وزوال الخوف، فالعلاقة بينهما علاقة ترادف.

٤ السكينة:

السكينة لغة:

السكون ضد الحركة، سكن الشيء يسكن سكونًا: إذا ذهب حركته، وأسكنه هو وسكنه غيره تسكينًا، وكل ما هدأ فقد سكن، كالريح والحر والبرد ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

السكينة اصطلاحًا:

هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين الأمن والسكينة:

الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والسكينة: الطمأنينة في القلب والاستقرار والرزانة والوقار.

٥ السلام:

السلام لغة:

أصل مادة (سلم) تفيد معنى السلامة من كل شر، والسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى<sup>(٤)</sup>.

السلام اصطلاحًا:

«تجرد النفس عن المحنة في الدارين»<sup>(٥)</sup>.

الصلة بين الأمن والسلام:

الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، أما السلام: أن يسلم كل واحد منهما أن يناله ألم من صاحبه، مع وزوال المحنة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢ / ٥٦٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٣ / ٢١١.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٢ / ٤٧١.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣ / ٩٠، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٣ / ٢٥٤.

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٤٢٣.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٣ / ٢٥٤.

الأساليب القرآنية في عرض الأمن

تنوعت أساليب القرآن في الحديث عن الأمن، وبيانها فيما يأتي:

أولاً: الامتتان بالأمن:

إن نعمة الأمن من الخوف من أجل النعم التي من الله بها على العباد، والله سبحانه وتعالى ذكر عن إبراهيم عليه السلام دعاءه في سورة إبراهيم (٣٧-٤١) وذكر أنه طلب في دعائه أموراً سبعة.

وكان المطلوب الأول: أنه طلب من الله نعمة الأمان، وهو قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

والابتداء بطلب نعمة الأمن في هذا الدعاء يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به، وسئل بعض العلماء: الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل (١).

وإن الله تعالى ذكر امتنانه على عباده بتلك النعمة الجليلة في غير ما آية من كتاب الله تعالى، ومن صور الامتتان بنعمة الأمن في القرآن الكريم ما يلي:

١. الامتتان على أهل مكة.

وتكرر ذلك في أكثر من موضع في القرآن، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا بَطِلٌ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُونَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].  
وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِئُكَ لَهْدَىٰ مَعَكَ نُنَحِّطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمْكِن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئُوكَ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧] (٢).

عن قتادة قال: كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا، إذا خرج أحدهم فقال: إني من أهل الحرم لم يتعرض له، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل (٣).

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۗ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۗ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

وقال: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ (١) إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٩٥.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٢٨٨.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٩/ ١٠٣.

في جاهليتهم- حرمة هذه الأشهر، فكانوا لا يروعون فيها نفساً، ولا يطلبون فيها دمًا، ولا يتوقعون فيها نازراً، حتى كان الرجل يلقي قاتل أبيه وابنه وأخيه فلا يؤذيه، فكانت مجالاً آمناً للسياحة، والضرب في الأرض، وابتغاء الرزق.

جعلها الله كذلك لأنه أراد للكعبة-بيت الله الحرام- أن تكون مثابة أمن وسلام، تقيم الناس وتقيهم الخوف والفرع.

لقد جعل الله هذه الحرمات منذ بناء هذا البيت على أيدي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وجعله مثابة للناس وأمناً، حتى لقد امتن الله به على المشركين أنفسهم إذ كان بيت الله بينهم مثابة لهم وأمناً، والناس من حولهم يتخطفون، وهم فيه وبه آمنون، ثم هم -بعد ذلك- لا يشكرون الله ولا يفرّدونه بالعبادة في بيت التوحيد، ويقولون للرسول صلى الله عليه وسلم إذ يدعوهم إلى التوحيد: ﴿إِن نَّبِيعَ الْهَدَىٰ مَعَكَ نُنَخِّطُ مِنْ أَرْضِنَا﴾، فحكى الله قولهم هذا وبين حقيقة الأمن والمخافة، فقال: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهَدَىٰ مَعَكَ نُنَخِّطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئُونَ إِلَيْهِ مُرْمِثًا كُلِّ شَيْءٍ وَزَقَاتٍ لِّدُنَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى ممتناً على قريش:

فكلتا السورتين تذكير بنعم الله على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم (وهو نوع من تأمينهم) الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وسورة قريش تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق الله بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار<sup>(١)</sup>.

إنها منطقة الأمان يقيمها الله للبشر في زحمة الصراع، إنها الكعبة الحرام، تقدم في وسط المعركة المستعرة بين المتخاصمين والمتحاربين والمتصارعين والمتزاحمين على الحياة بين الأحياء من جميع الأنواع والأجناس، بين الرغائب والمطامع والشهوات والضرورات، فتحل الطمأنينة محل الخوف، ويحل السلام محل الخصام، وترف أجنحة من الحب والإخاء والأمن والسلام، وتدريب النفس البشرية في واقعها العملي- لا في عالم المثل والنظريات- على هذه المشاعر وهذه المعاني، فلا تبقى مجرد كلمات مجنحة ورؤى حاملة، تعز على التحقيق في واقع الحياة.

لقد جعل الله هذه الحرمات تشمل الإنسان، والطير، والحيوان، والحشرات بالأمن في البيت الحرام.

ولقد ألقى الله في قلوب العرب -حتى

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٩٥.

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٣٠/ ٤١٢.

﴿وَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ  
وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى  
قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن كثير: «يذكرهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم، أمانا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُنَاسًا يَعْنِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد، وأمر ذلك مشهورٌ جدًا، وأما يوم بدرٍ في هذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدرٍ، وهي دالةٌ على وقوع ذلك أيضًا، وكان ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله، وهذا من فضل الله ورحمته بهم، ونعمه عليهم، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥ - ٦] (٢).

وعن أنس، عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال: «كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وأخذه، ويسقط فأخذه» (٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٢/٤.  
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قوله: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم)، رقم ٤٠٦٨.

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي  
الْأَرْضِ نَخَاؤُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ فَنَآوِنَكُمْ  
وَأَيْدِكُمْ بِصُرُوفِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

قال قتادة: «كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلًا، وأشقاء عيشًا، وأبينه ضلالةً، وأعراه جلودًا، وأجوعه بطونًا، مكعومين على رأس حجرٍ بين الأسدين: فارس والروم، لا والله ما في بلادهم يومئذٍ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلًا يومئذٍ من حاضر الأرض، كانوا فيها أصغر حظًا وأدق فيها شأنًا منهم، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام، فورثكم به الكتاب، وأحل لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نعمه، فإن ريكتم منعمٌ يحب الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد الله، فتعالى ربنا وتبارك» (١).

٢. الامتتان على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه رضوان الله عليهم.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ  
الْغَمِّ أَمْنًا نُنَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنًا مِنْهُ﴾

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦٥٩/٥.

العدو لعرفوا وصوله، ولقدروا على دفعه. والوجه الرابع: أنه غشيهم هذا النعاس دفعة واحدة مع كثرتهم، وحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد أمرٌ خارقٌ للعادة، فلهذا السبب قيل: إن ذلك النعاس كان في حكم المعجز<sup>(٢)</sup>.  
٣. الامتتان على أهل الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٦].

وقال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْغَنَىٰ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

قال ابن القيم: «قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٢].

والمقام الأمين: موضع الإقامة، والأمين: الأمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والتكد، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]. وفي قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥].

قال ابن القيم: «وأنزل الله عليهم النعاس أمنةً منه في غزاة بدرٍ وأحدٍ، والنعاس في الحرب وعند الخوف دليلٌ على الأمن، وهو من الله<sup>(١)</sup>».

وقال الرازي: «واعلم أن كل نوم ونعاسٍ فإنه لا يحصل إلا من قبل الله تعالى، فتخصيص هذا النعاس بأنه من الله تعالى لا بد فيه من مزيد فائدة، وذكروا فيه وجوهاً: أحدها: أن الخائف إذا خاف من عدوه الخوف الشديد على نفسه وأهله فإنه لا يأخذ النوم، وإذا نام الخائفون أمنوا، فصار حصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على إزالة الخوف، وحصول الأمن. وثانيها: أنهم خافوا من جهاتٍ كثيرة. أحدها: قلة المسلمين وكثرة الكفار. وثانيها: الأهبة والآلة والعدة للكافرين وقتلتها للمؤمنين.

وثالثها: العطش الشديد، فلولا حصول هذا النعاس، وحصول الاستراحة حتى تمكنوا في اليوم الثاني من القتال لما تم الظفر.

والوجه الثالث: في بيان كون ذلك النعاس نعمةً في حقهم، أنهم ما ناموا نومًا غرقًا يتمكن العدو من معاقبتهم، بل كان ذلك نعاسًا يحصل لهم زوال الأعيان والكلال، مع أنهم كانوا بحيث لو قصدهم

(١) زاد المعاد ٢/ ١٨٢.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٥/ ٤٦١.

فالواجب علينا أن نشكر الله تعالى على هذه النعمة، وأن نعلم أننا سنسأل عنها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

ذكر ابن مسعود رضي الله عنه وجماعة أن النعيم: الأمن والصحة<sup>(٤)</sup>.

ثانيًا: التحذير من الركون إلى الأمن:

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا أَقْوَامٌ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدراج الذين قص عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإن مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجًا مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم إلا القوم الخاسرون، وهم الهالكون»<sup>(٥)</sup>.

وقال الطاهر ابن عاشور: «واعلم أن المراد بأمن مكر الله في هذه الآية هو الأمن الذي من نوع أمن أهل القرى المكذبين،

فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن من الموت فلا يخافون فيها موتًا»<sup>(١)</sup>.

٤. الامتنان على أهل سبأ:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا مَّيْنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

قال ابن كثير: «يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماءً وثمرًا، ويقيل في قرية، ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عاشور: «وتقديم الليالي على الأيام للاهتمام بها في مقام الامتنان؛ لأن المسافرين أحوج إلى الأمن في الليل منهم إليه في النهار؛ لأن الليل تعترضهم فيه القطاع والسباع»<sup>(٣)</sup>.

(١) حادي الأرواح ص ١٠٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ٥٠٩/٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٦/٢٢.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٦٠٣/٢٤.

(٥) المصدر السابق ٣٣٤/١٠.

بتصوير الخطر الذي تركوه في البحر وهو يلاحقهم في البر، أو وهم يعدون إليه في البحر؛ ليشعروا أن الأمن والقرار لا يكونان إلا في جوار الله وحماه، لا في البحر ولا في البر، لا في الموجة الرخية والرياح المواتية، ولا في الملجأ الحصين والمنزل المريح: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ۗ﴾ ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَرُسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ ذَبْيًا ۗ﴾ [الإسراء: ٦٨ -

الذي ابتدئ الحديث عنه من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

ثم قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا﴾ الآيات، وهو الأمن الناشئ عن تكذيب خبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الغرور بأن دين الشرك هو الحق فهو أمنٌ ناشئٌ عن كفرٍ، والمأمون منه هو وعيد الرسل إياهم، وما أطلق عليه أنه مكر الله<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۗ﴾ ﴿٧٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ۗ﴾ ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَرُسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ ذَبْيًا ۗ﴾ [الإسراء: ٦٧ - ٦٩].

قال في الظلال: «ولكن الإنسان هو الإنسان، فما إن تنجلي الغمرة، وتحس قدماء ثبات الأرض من تحته حتى ينسى لحظة الشدة، فينسى الله، وتتقاذفه الأهواء، وتجرفه الشهوات، وتغطي على فطرته التي جلاها الخطر».

وهنا يستجيش السياق وجدان المخاطبين

(١) التحرير والتنوير، ٩/ ٢٤.

إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة، إنهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر، فكيف يأمنون؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله؟! أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم

بالحمم والماء والطين والأحجار، فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلاً يحميهم ويدفع عنهم؟ أم كيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحاً قاصفة، تقصف الصواري وتحطم السفن، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم؟

على القول عليه بلا علم، فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال، نعم ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلاً من الله وحكمة، والله عليم حكيم<sup>(٢)</sup>.

فالواجب على الناس أن يتقوا ويحذروا وأن يطرحوا عنهم الأمن الكاذب، والاستهتار السادر، والغفلة المردية، وأن يعتبروا بما كان في الذين خلوا من قبلهم، عسى ألا يكون فيهم، لو كانوا يسمعون!

وما يريد الله للناس بهذا التحذير في القرآن أن يعيشوا مفرعين قلقين يرتجفون من الهلاك والدمار أن يأخذهم في لحظة من ليل أو نهار، فالفرع الدائم من المجهول، والقلق الدائم من المستقبل، وتوقع الدمار في كل لحظة، قد تشل طاقة البشر وتشتتها، وقد تنتهي بهم إلى اليأس من العمل والتتاج، وتنمية الحياة، وعمارة الأرض، إنما يريد الله منهم اليقظة والحساسية والتقوى، ومراقبة النفس، والعظة بتجارب البشر، ورؤية محركات التاريخ الإنساني، وإدامة الاتصال بالله، وعدم الاغترار بطراءة العيش ورخاء الحياة.

والله يعد الناس الأمن والطمأنينة والرضوان والفلاح في الدنيا والآخرة، إذا

ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا، ثم يأمنوا أخذه وكيدته، وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسونه بعد النجاة، كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَمِنَ الَّذِينَ مَكْرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخَيْفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٤٥)</sup> أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾<sup>(٤٦)</sup> أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آخَرْتُمَا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾<sup>(٣١)</sup> وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾<sup>(٣٢)</sup> وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾<sup>(٣٣)</sup> وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾<sup>(٣٤)</sup> وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾<sup>(٣٥)</sup> قَالِیْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup> عَلَىٰ الْأَرَابِكِ یَنْظُرُونَ﴾<sup>(٣٧)</sup> هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا یَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٦].

قال السعدي: ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي: مسرورين مغتبطين، وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرؤوا

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩١٦.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٤٠.

هم أرفهوا حساسيتهم به، وإذا هم أخلصوا العبودية له، وإذا هم اتقوه فاتقوا كل ما يلوث الحياة، فهو يدعوهم إلى الأمن في جوار الله، لا في جوار النعيم المادي المغربي، وإلى الثقة بقوة الله، لا بقوتهم المادية الزائلة، وإلى الركون إلى ما عند الله، لا إلى ما يملكون من عرض الحياة.

ولقد سلف من المؤمنين بالله المتقين لله سلف ما كان يأمن مكر الله، وما كان يركن إلى سواه، وكان بهذا وذاك عامر القلب بالإيمان، مطمئنًا بذكر الله، قويًا على الشيطان وعلى هواه، مصلحًا في الأرض بهدى الله، لا يخشى الناس والله أحق أن يخشاه.

وهكذا ينبغي أن نفهم ذلك التخويف الدائم من بأس الله الذي لا يدفع، ومن مكر الله الذي لا يدرك؛ لنذكر أنه لا يدعو إلى القلق، إنما يدعو إلى اليقظة، ولا يؤدي إلى الفرع، إنما يؤدي إلى الحساسية، ولا يعطل الحياة، إنما يحرسها من الاستهتار والطغيان.

وبل لا يزال خائفًا وجلًا أن يتلى ببليّة تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيًا بقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)<sup>(٢)</sup>. وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتنة، فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من السلامة<sup>(٣)</sup>.

والمناهج القرآني -مع ذلك- إنما يعالج أطوار النفوس والقلوب المتقلبة، وأطوار الأمم والجماعات المتنوعة، ويطلب لكل منها بالطب المناسب في الوقت الملائم، فيعطيها جرعة من الأمن والثقة والطمأنينة إلى جوار الله، حين تخشى قوى الأرض

والمناهج القرآني -مع ذلك- إنما يعالج أطوار النفوس والقلوب المتقلبة، وأطوار الأمم والجماعات المتنوعة، ويطلب لكل منها بالطب المناسب في الوقت الملائم، فيعطيها جرعة من الأمن والثقة والطمأنينة إلى جوار الله، حين تخشى قوى الأرض

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٣٤١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ١٦٠/١٩، رقم ١٢١٠٧، والترمذي في سننه، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ١٦/٤، رقم ٢١٤٠، وحسنه.

وصححه الألباني، صحيح الجامع ١٣٢٣/٢، رقم ٧٩٨٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٩٨.

أنواع الأمن

ذكر القرآن الكريم أنواعاً للأمن، منه المحمود، ومنه المذموم، نبيها فيما يأتي:  
**أولاً: الأمن المحمود:**

١. أهمية الأمن المحمود.

إن نعمة الأمن أهم من نعمة الرزق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آسِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَنِيسَ الْمَصِيرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آسِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فبدأ بالأمن قبل الرزق لسببين:

الأول: لأن استتباب الأمن سبب للرزق، فإذا شاع الأمن، واستتب ضرب الناس في الأرض، وهذا مما يدر عليهم رزق ربهم، ويفتح أبوابه، ولا يكون ذلك إذا فقد الأمن.  
 الثاني: ولأنه لا يطيب طعام، ولا يتنفع بنعمة رزق إذا فقد الأمن.

فمن من الناس أحاط به الخوف من كل مكان، وتبدد الأمن من حياته، ثم وجد لذة بمشروب أو مطعم؟! ولقائل أن يقول: فلماذا قدم الرزق على

الأمن في سورة قريش؟

والجواب: أن هذه السورة خطاب للمشركين، وعند مخاطبة هؤلاء يحسن البدء بالقليل قبل الكثير، وباليسير قبل العظيم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آخِذًا بِرَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَأَلَكُمُ تَسْفُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

فبدأ بخلقهم قبل خلق السماوات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آسِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَنِيسَ الْمَصِيرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آسِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ويوسف عليه السلام يطلب من والديه دخول مصر مخبراً باستتباب الأمن بها: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبُويْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧].

قال قتادة: ذلك أيضًا من آيات الحرم، وقال النحاس: وهو قول حسن؛ لأن الناس كانوا يتخطفون من حواليه، ولا يصل إليه جبار، وقد وصل إلى بيت المقدس وخرّب، ولم يوصل إلى الحرم، وقال بعض العلماء: صورة الآية خبرٌ ومعناها أمرٌ، تقديرها: ومن دخله فأمّنه<sup>(٢)</sup>.

فيذكر من فضائل هذا البيت أن من دخله كان آمنًا، فهو مثابة الأمن لكل خائف، وليس هذا لمكان آخر في الأرض، وقد بقي هكذا مذ بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وحتى في جاهلية العرب، وفي الفترة التي انحرفوا فيها عن دين إبراهيم، وعن التوحيد الخالص الذي يمثله هذا الدين. . . حتى في هذه الفترة بقيت حرمة هذا البيت سارية، كما قال الحسن البصري وغيره: «كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة، ويدخل الحرم، فيلقاه ابن المقتول، فلا يهيجه حتى يخرج»<sup>(٣)</sup>، وكان هذا من تكريم الله سبحانه لبيته هذا، حتى والناس من حوله في جاهلية! وقال سبحانه يمتن على العرب به:

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٢٢٥/١١، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤٠/٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٩٧/٢.

وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ [يوسف: ٩٩ - ١٠٠].

## ٢. أقسام الأمن المحمود.

١. الأمن للمؤمنين في الدنيا.

ومن ذلك:

• الأمن في البيت الحرام، والبلد الحرام.  
قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَيِّمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٥ - ١٢٦].

فنعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه، والسياق يذكرها هنا ليذكر بها سكان ذلك البلد، الذين يستطيلون بالنعمة ولا يشكرونها، وقد استجاب الله دعاء أبيهم إبراهيم عليه السلام فجعل البلد آمنًا، ولكنهم هم سلكوا غير طريق إبراهيم، فكفروا بالنعمة، وجعلوا لله أندادًا، وصدوا عن سبيل الله<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ

لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٢١٠٩/٤.

﴿أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ءَأَمِنَ الْبَطِلُ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْمُدَى مَعَكَ تَخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَم تَمَكِّن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يَجِيءُ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الفصص: ٥٧]<sup>(١)</sup>.

### • الأمان في المعارك.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النَّعَاسَ ءَأَمَنَةٌ مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

وقال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ ءَأَمَنَةً مَّسَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وعن أنس، عن أبي طلحة -رضي الله عنهما- قال: «كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا يسقط وأخذه، ويسقط فأخذه»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: «وأنزل الله عليهم النعاس أمانة منه في غزاة بدرٍ وأحد، والنعاس في الحرب وعند الخوف دليل على الأمان، وهو

من الله...»<sup>(٣)</sup>.

٢. الأمان للمؤمنين في الآخرة. ومن ذلك:

### • النجاة من أهوال يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقي في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله لإيمانه بالله جل جلاله؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافرًا»<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهُمْ مِّن فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَأَمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

في هذا اليوم المفزع الرهيب يكون الأمان والطمأنينة من الفرع جزاء الذين أحسنوا في الحياة الدنيا، فوق ما ينالهم من ثواب هو أجزل من حسناتهم وأوفر: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهُمْ مِّن فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَأَمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

والأمان من هذا الفرع هو وحده جزاء،

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٤٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة)، رقم ٤٠٦٨.

(٣) زاد المعاد ٢/١٨٢.

(٤) جامع البيان ٢٠/٤٤٢.

وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فِتْكَهَةٍ آمِينَ﴾ [الدخان: ٥٥].

فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة، ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن من الموت فلا يخافون فيها موتاً<sup>(٣)</sup>.

٣. وسائل تحقيقه.

الوسيلة الأولى: الإيمان بالله وحده وعمل الصالحات:

قال الله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَحَاجَّتْهُ قَوْمُهُ قَالُوا أَحْضِرْ خُبْرًا وَيَسَاءَ رَبِّيُ مَا تَسْجُبُ بِهِ إِذَا أَنْتَ عَلَىٰ خُبْرٍ لَئِن لَّمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢].

وهذا خبرٌ من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمين، وفصل قضاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه<sup>(٤)</sup>. فالذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين:

وما بعده فضل من الله ومنته، ولقد خافوا الله في الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة، بل أمنهم يوم يفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله<sup>(١)</sup>.

✽ الأمن لأهل الجنة.

قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾

[الحجر: ٤٦].

وقال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي نَفَرْتُمْ عَلَيْنَا لِيَأْخُذَهُنَّ بِالْأَمْنِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

فشمر لدار الخلد فاز مشمراً

إليها ونال الأمن في منزل الأمن<sup>(٢)</sup>  
قال ابن القيم: «قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٢].

والمقام الأمين: موضع الإقامة، والأمين: الأمن من كل سوء وأفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد. ، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

(٣) حادي الأرواح ص ١٠٠.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٦٩/٩.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٦٦٩.

(٢) البيت ذكره ابن الجوزي في التبصرة ص ٣٠.

التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم؛ بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولا بد لهم من دخول الجنة<sup>(٣)</sup>.  
وقال ابن القيم: «فإن الأمن والعافية والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته مع الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة، والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق مع الضلال والحيرة»<sup>(٤)</sup>.

وقال: ثم رجع الخليل إليهم مقررًا للحجة، فقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ يعني في إلهيته ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿[الأنعام: ٨١ - ٨٢].

يقول لقومه: كيف يسوغ في عقل أن أخاف ما جعلتموه لله شريكًا في الإلهية وهي ليست موضع نفع ولا ضرر، وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بالله في الإلهية أشياء لم ينزل بها حجة عليكم، والذي أشرك

أولهما: الإيمان، وهو كمال القوة النظرية.

وثانيهما: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ وهو كمال القوة العملية<sup>(١)</sup>.

فالظلم ثلاثة أنواع:  
فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه.  
وظلم الناس بعضهم بعضًا لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه.  
وأما الظلم المقيد، فقد يختص بظلم الإنسان نفسه...

فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الأمن التام، والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقًا، بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة، كما وعد بذلك في الآية الأخرى، وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه.

وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنما هو الشرك)<sup>(٢)</sup> أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام، ولا الاهتداء

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٤٩/١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، ٤/١٦٣، رقم ٣٤٢٩.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٧/٧٨-٨٢.

(٤) إغاثة اللهفان ١٧٢/٢.

من بعد خوفهم أمناً؛ ذلك وعد الله، ووعد الله حق، ووعد الله واقع، ولن يخلف الله وعده، فما حقيقة ذلك الإيمان؟

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط، وبناء وإنشاء، موجه كله إلى الله، لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله، وهي طاعة لله، واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله.

فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعاً، ويتوجه بهذا كله إلى الله.

ذلك الإيمان منهج حياة كامل يتضمن كل ما أمر الله به، ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب، وإعداد العدة، والأخذ بالوسائل، والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾

بخالفه وفاطره، فاطر السماوات والأرض، ورب كل شيء ومليكه آلهة لا تخلق شيئاً، وهي مخلوقة، ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وجعلها ندأله ومثلاً في الإلهية، أحق بالخوف ممن لم يجعل مع الله إلهاً آخر، وحده وأفرده بالإلهية والربوبية، والقهر والسلطان، والحب والخوف والرجاء ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

فحكم الله تعالى بينهما بأحسن حكم خضعت له القلوب، وأقرت به الفطر، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُتَهَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٥٥].

ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٥٢٨.

(١) انظر: الصواعق المرسله، ابن القيم ٢/ ٩٢.

[٥٥:]

وسلم تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي، يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن رجلاً أتاني وأنا نائمٌ، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائمٌ على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، قال: فشام السيف فيها هو ذا جالسٌ) ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣).

وقال ابن القيم: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتتي ويستاني في صدري، إن رحمت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٣٩/٤، رقم ٢٩١٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس ١٧٨٦/٤، رقم ٨٤٣.

قال القرطبي: «﴿يَعْبُدُونِي﴾ هو في موضع الحال، أي في حال عبادتهم الله بالإخلاص» (١).

قال ابن العربي: قلنا لهم هذا وعدٌ عامٌ في النبوة والخلافة، وإقامة الدعوة، وعموم الشريعة، فنفذ الوعد في كل أحدٍ بقدره وعلى حاله.

ثم قال في آخر كلامه: وحقيقة الحال أنهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين، وكانوا مطلوبين فصاروا طالبين، فهذا نهاية الأمن والعز.

فكان في هذه الآية دلالةٌ على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله عز وجل أنجز ذلك الوعد (٢).

والمتبع لحال المسلمين يستتج ما يلي: كلما كانت الأمة المسلمة مطيعة لله ورسوله يحكم التوحيد حياتها كاملة كان الأمن على قدر ذلك، والله تعالى أعلم.

ولذلك كان الأمنون في الدنيا هم أهل الإيمان، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوةً قبل نجدٍ، فأدركتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادٍ كثير الغصاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/٣٠٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٢/٢٩٨.

تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان، وأول ما تصنعه هذه القوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها، والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين، فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة، والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها، والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها، ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده<sup>(٣)</sup>.

٢. الدعاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرْعِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِمْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَنْطَرُهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسْ أَلْمِصِيرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/١٥٤٣.

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا مَبِينًا يَوْمَ ظَهَرَ لَهُمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ وظَهَرَهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والتعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرههم نفسًا، تلوح نضرة التعيم على وجهه.

وكننا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضائق بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة<sup>(١)</sup>.

إذا الإيمان ضاع فلا أمانًا

ولا دنيا لمن لم يحيي ديننا

ومن رضي الحياة بغير دين

فقد جعل الفناء لها قريننا<sup>(٢)</sup>

ومن الصالحات التي تؤدي إلى الأمن:

١. الأخذ بأسباب القوة.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا

(١) الوابل الصيب ص ٤٨.

(٢) البيتان للشاعر محمد إقبال من قصيدة طويلة يشكو إلى الله حال العالم الإسلامي.

انظر: ديوان محمد إقبال ص ١٠٣.

الوسيلة الثانية: أداء الشكر لله وحده على نعمه:

فالنعم تثبت بالشكر، وتذهب بالجحود، قال تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّتْ رِجْمَكُمْ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال في خصوص نعمة الأمن: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ ذَوَاتٍ أُكْلِي خَمْطٍ وَاتِّل وَتَقُوعٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعُد بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ١٥ - ٢١].

وقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ

٣١٨/٤، رقم ٥٠٧٤. وصححه الألباني في صحيح المفرد ص ٤٦٥.

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: (اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله) (١). وفي رواية: (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان) (٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) (٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٧٨/٢، رقم ١٣٩٧، والترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، ٥٠٤/٥، رقم ٣٤٥١.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٨٦١/٢، رقم ٤٧٢٦.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ١٧١/٣، رقم ٨٨٨، والحاكم في المستدرک، ٣١٧/٤، رقم ٧٧٦٧.

وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص ١٣٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤٠٣/٨، رقم ٤٧٨٥، والبخاري في الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أصبح ص ١٢٠٠، رقم ٦٨١، وأبو داود في سننه، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجلٌ منهم، فانطلق بعضهم إلى جبلٍ معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً) (١).

وقد ذكر بعض العلماء أن من أيسر الأمور أن تروع أخاك فتخفي عصاه أو تخفي حذاه فإنه يروع بذلك، فما بالكم إذا كان الترويع بسيف، أو بأداة قتل، أو بتهديد وسلبٍ للأمن، فذلك مما يحذر منه الإسلام.

الوسيلة الرابعة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

وهو من أسباب النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلِنَصْرِكُ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

وفيه الأمن من الهلاك، والمحافظة على صلاح المجتمعات، فعن النعمان بن

مَكَّانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وهكذا نجد في هذه الآيات أن استقرار الأمن مربوط بشكر النعمة، وأن زواله مقرون بكفرها، كما نجد أن توفر الأمن لا بد أن يسبق توفر الغذاء، مما يدل على أن الضرورة إليه أشد من الضرورة إلى الغذاء؛ لأنه لا يمكن التلذذ بالغذاء لو توفر مع عدم الأمن والاستقرار؛ ولهذا كان في دعاء الخليل عليه السلام تقديم طلب الأمن على طلب الرزق، كما ذكر الله عنه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقد امتن الله على قريش بتوفير هاتين النعمتين، وأمرهم أن يفردوه بالعبادة شكرًا له على ذلك، فقال: ﴿لِيَلْبِسَ قُرَيْشٌ ١﴾ إِيْلَانِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢﴾ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣﴾ الَّذِي أَطْمَنَّهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامْنَتُهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

الوسيلة الثالثة: الاستقامة، وحسن التعامل، والتكافل الاجتماعي:

إن حسن التعامل من شأنه أن يشيع الأمن بين أفراد المجتمع؛ ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ترويع المسلم، وسلب حالة الأمن التي يتمتع بها، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: حدثنا

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٦٣/٣٨، رقم ٢٣٠٦٤، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ٣٠١/٤، رقم ٥٠٠٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢٦٨/٢، رقم ٧٦٥٨.

وأخلاقاً وسلوكاً؛ لأن الأمن لا يتوفر بمجرد البطش والإرهاب وقوة الحديد والنار، وإنما يتوفر بتهديب النفوس، وتطهير الأخلاق، وتصحيح المفاهيم حتى تترك النفوس الشر رغبة عنه وكراهية له.

كما يقول الشاعر<sup>(٢)</sup>:

ولا تنته الأنفس عن غيها

ما لم يكن لها من نفسها زاجر

فإذا فقد المجتمع هذه المقومات التي

جاء الإسلام بها فإنه يفقد أمنه واستقراره.

قال الشاعر<sup>(٣)</sup>:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولهذا نجد الأمم التي تفقد هذه

المقومات من أفلس الناس من الناحية

الأمنية، وإن كانت تملك الأسلحة الفتاكة

والأجهزة الدقيقة؛ لأن الإنسان لا يحكم

بالآلة فقط، وإنما يحكم بالشرع العادل

والسلطان القوي، كما قال تعالى ﴿لَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ

الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ

بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)<sup>(١)</sup>.

وفيه دفع العذاب عن العباد، قال تعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا

عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿المائدة: ٧٨ - ٧٩﴾.

وهو مطلب مهم لمن أراد النجاة لنفسه،

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا

بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿الأعراف:

١٦٥﴾.

الوسيلة الخامسة: إقامة شرع الله:

ولما كان توفر الأمن ضرورة من

ضروريات المجتمع التي تفوق ضرورة

الغذاء، اهتم الإسلام بتوفير الأسباب

الجالبة للأمن، وذلك ببناء الإنسان عقيدة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة،

باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه

وغيرهما، ٣/١٣٩، رقم ٢٤٩٣.

(٢) البيت في مجاني الأدب في حداثق العرب،

بن يعقوب شيخو، ١/٥٥ دون نسبة.

وانظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال،

الهاشمي ص ٥٤.

(٣) البيت لأحمد شوقي كما في الموسوعة

الشوقية الأعمال الكاملة ٢/٤٨٧.

لم يتمكن الإسلام والإيمان من قلوبهم فتحصل منهم نزوات تخل بالأمن، وهنا وضع الله سبحانه زواجر وروادع لهؤلاء تكف عدوانهم، وتصون الأمن من عبثهم، فشرع سبحانه الحدود الكفيلة لردعهم وتحذير غيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم، ومن الحدود التي شرعها الله لحفظ الأمن للأفراد والجماعات؛ القصاص لحد القذف والنفوس، وشرع حد الزنا، وحد القذف لحفظ العرض والنسب، وشرع حد السرقة لحفظ الأموال، وشرع حد قطاع الطريق لحفظ السبل، وتأمين المواصلات، وشرع قتال البغاة لحفظ السلطة الإسلامية، ومنعاً لتفريق الكلمة، واختلاف الأئمة.

١. فالقصاص من القاتل فيه حماية للنفوس البريئة، وضمان للأمن بين الناس، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فإذا عرف من يريد قتل إنسان أنه سيقتل به امتنع عن القتل، فكان في هذا حفظ لحياته وحياة غيره، وإذا أقدم على القتل فاقصص منه كان في هذا ردع للآخرين، فلا يقدمون على مثل جريمته لئلا يكون مصيرهم كمصيره، فقتل نفس واحدة بالقصاص حصل به نجات أنفس كثيرة، كالعضو الفاسد يقطع لحفظ بقية الجسم؛ وبذلك يأمن الناس على

وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَبْغُضُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ [الحديد: ٢٥].

ويفهم الأمن من مفهوم الإسلام؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالخضوع له وامتنال أوامره واجتناب منهياته، وقد نهى الله عن التعدي على الناس في أعراضهم وأموالهم وأبدانهم. وفي الحديث: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)<sup>(١)</sup>.

ومن دخل في الإسلام دخل في نطاق الأمن؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله، ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله)<sup>(٢)</sup>.

فإذا تحقق الإسلام والإيمان توفرت أسباب الأمن، لكن قد يكون هناك شذوذ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١١/١، رقم ١٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ١/٦٥، رقم ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ٢/١٠٥، رقم ١٣٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ١/٥١، رقم ٢٠.

حياتهم.

٢. ورجم الزاني المحصن (وهو الذي سبق أن جامع زوجته بنكاح صحيح) بمحضر عام من المؤمنين، فيرجم بالحجارة حتى يموت.

وذلك ليأمن الناس على أعراضهم من الاعتداء عليها؛ وليأمنوا على أنسابهم من الاختلاط، ولردع المضيعين لأعراضهم التي أمرهم الله بحفظها في قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَقْضَيْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾﴾ [٣٠-٣١].

وبذلك يقضى على جريمة الزنا التي تدمر المجتمعات البشرية، وبتطبيق هذا الحد يأمن الناس من هذا الخطر المدمر الذي يلوث المجتمع، ويهدد الإنسانية، وينشر الأمراض الخطيرة.

٣. ولشناعة جريمة الزنا وحرمة عرض المسلم صان الله أعراض الأبرياء أن تدنس بنسبة هذه الجريمة إليها، وكف الألسنة البذيئة أن تتناول على عرض المسلم فتقذفه بارتكاب فاحشة الزنا زورًا وبهتانًا.

فأمر بجلد القاذف الذي لا يستطيع إقامة البينة على ما يقول بأن يجلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة أبدًا، وأنه يعتبر فاسقًا

ساقط العدالة ما لم يتب من هذه الجريمة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [٤-٥].

وبهذا الحد الرادع وسحب الثقة من القاذف تصان الأعراض البريئة، وتسكت الأفواه البذيئة، وتتوارى آثار هذه الجريمة، ويصبح الناس في مأمن منها ومن ذكرها حتى تتوارى من المجتمع نهائيًا.

٤. ولما كان المال قوام الحياة والحفاظ عليه من الضروريات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لِكُرْبَمَا وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: ٥].

وقد حرم الله أخذ أموال الناس بغير حق والاستيلاء عليها بغير مبرر، فالاعتداء على مال الغير كالاعتداء على دمه وعرضه في الحرمة، كما تدل عليه الآيات والأحاديث، ومن أشد أنواع الاعتداء على أموال الناس أخذها بالسرقه، وهي أخذ المال خفية من حرز مثله، وجزاء من فعل ذلك قطع يده، هذه اليد الخائنة التي امتدت إلى ما لا يحل لها، وعبثت بالأمن، وروعت المجتمع جزاؤها البتر، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا

يُنْفُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي  
الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾  
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ  
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ [المائدة:

٣٣ - ٣٤].

وبتطبيق هذه العقوبة على قطاع الطريق  
تأمين السبل، وتنظيم المصالح، ويتوفر  
الامن في البر والبحر والحاضرة والبادية،  
وتنظم المواصلات بين البلدان والأقاليم،  
ويسهل نقل البضائع والتبادل التجاري مما  
فيه صلاح العمران البشري، وتوفر الإنتاج؛  
ولهذا وصف الله من يحاول تعطيل هذه  
المصالح بأنه محارب لله ورسوله، وساع  
في الأرض بالفساد.

٦. ولما كان لابد للمسلمين من قيادة  
تجتمع كلمتهم بها، وتحل مشاكلهم،  
وتكف الظالم منهم عن ظلمه،  
وتدفع العدو الخارجي عنهم، وترعى  
شؤونهم، وتنفذ أحكام الله فيهم.

لما كان الأمر كذلك وأكثر، شرع الله  
تنصيب الإمام وطاعته بالمعروف وإعانتة  
على الخير، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ  
فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وهكذا نتيين من هذا العرض الموجز ما

تَكَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

والسرقة أشد خطورة من اغتصاب المال  
مجاهرة؛ لأن المجاهرة تمكن مدافعتها  
وعمل الاحتياطات المانعة من شرها،  
أما السرقة فإنها مكر خفي، وغدر سعي،  
يؤخذ بها الإنسان من مأمنه، وتدل على  
جرأة المجرم حيث لم تمنع منه الحروز  
والحصون، فكان جزاؤه بتر يده وتعطيلها  
عليه ردعاً له وعظة لغيره، وبهذا يتوفر الأمن  
للمجتمع، ويطمئن الناس على أموالهم  
في بيوتهم ومستودعاتهم، ويقضى على  
الجريمة.

٥. ولما كان ربط البلدان والأقاليم  
بعضها ببعض عن طريق المواصلات  
البرية والبحرية والجوية لنقل البضائع  
وتنقلات المسافرين للتجارة وغيرها  
من الأغراض التي تتم بها مصالحهم؛  
لذلك احتاج المجتمع إلى تأمين السبل  
بردع المجرمين الذين يحاولون قطعها،  
ويروعون المارة.

ولأجل ذلك شرع سبحانه حد قطاع  
الطريق، وهم الذين يعرضون للناس  
بالسلاح فيغصبونهم المال مجاهرة، وهذا  
الحد هو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا  
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ  
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ  
تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ

وحققة الإسلام من أمن الأفراد والمجتمعات حين عجزت كل نظم البشر وأسلحتهم الفتاكة وأجهزتهم الدقيقة أن تحقق أقل القليل من هذا الأمن الذي حققه الإسلام، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثم إن هذا الأمن الذي حققه الإسلام لا يعتمد على العقوبة وشدة البطش بأصحاب الجرائم، وإنما يعتمد على غرس الإيمان في القلوب، وزرع الخشية الإلهية في النفوس حتى تترك الإجرام رغبة عنه، وكراهية له، بل تقوم بمقاومته والنهي عنه، ثم يتبع ذلك الوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأجل تعليم الجاهل، وتذكير الغافل، والأخذ على يد السفیه عن الوقوع في الجرائم، ثم يتبع ذلك تطبيق العقوبات الشرعية على من لم تُجد فيه الموعظة، ولم تؤثر فيه النصيحة، ولم ياتمر بالمعروف، وينته عن المنكر، فالعقوبة آخر مرحلة كما يقال (١)(٢):

ووضع الندى في موضع السيف بالاعلا  
مضر كوضع السيف في موضع الندى  
إن مجتمعا يسود بين أهله الإيمان  
بالله عز وجل، واليقين بالآخرة، والجزاء

وإذا انحرف الناس عن هذا المنهج ضاع الأمن، وهلك العباد، وسقطت البلاد، قال

(١) البيت للمنتبهي في ديوانه ص ٢٦٦.  
(٢) انظر: تحقيق الإسلام لأمن المجتمع، صالح الفوزان، مجلة البحوث الإسلامية ٩٦/٢١.

ابن تيمية: «وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم»<sup>(١)</sup>. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المثونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكهم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)<sup>(٢)</sup>.

ومن إقامة الشرع: إقامة العدل، قال تعالى مخاطباً جميع عباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. قال ابن تيمية: «إن الناس لم يتنازعوا في

### ثانياً: الأمن المذموم ومظاهره:

الأمن منه محمود ومذموم، وقد سبق بيان الأمن المحمود، وطرق تحصيله، والأمن المذموم هو ما يصاد الأمن المحمود، كالأمن من مكر الله تعالى، والأمن من بطش الأعداء، والتفريط في تحصيل أسباب الأمن المحمود، ويوقع ولا شك في الأمن المذموم، وقد ذكر القرآن الكريم مظاهر ذلك الأمن المذموم، ومن ذلك:

١. الأمن من عقوبة الله وعذابه في الدنيا.

ذكر الله تعالى توبيخ الذين آمنوا،

- (٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/٦٣.  
(٤) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر ٤٥/٢٠٢، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ١٧٤.

- (١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/٢٥٤.  
(٢) أخرجه ابن ماجه في سنته، كتاب الفتن، باب العقوبات، ٢/١٣٣٢، رقم ٤٠١٩. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٢١٦.

واستغرقوا في أمنهم الباطل، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْنَتَنَا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدراج الذين قص عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإن مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجاً مع مقامهم على كفرهم، وإصرارهم على معصيتهم إلا القوم الخاسرون وهم الهالكون»<sup>(١)</sup>.

إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة، إنهم في قبضته في البر، كما هم في قبضته في البحر، فكيف يأمنون؟ ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا، ثم يأمنوا أخذه وكيدته، وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة، ثم ينسون بعد النجاة، كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله!<sup>(٢)</sup>.

٢. الأمن من بطش الأعداء

وتسلطهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَفْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلْيَسْ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّكُمْ لَخِثَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا آسِلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ [النساء: ١٠١ - ١٠٢].

أمرهم الله تعالى بالصلاة، ثم بالتعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو، وهذا الحذر الذي يوصى المؤمنون به تجاه عدوهم الذي يترصد بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم ليميل عليهم ميلاً واحدة! ومع هذا التحذير والتخويف، التطمين والتثبيت، إذ يخبرهم أنهم إنما يواجهون قوماً كتب الله عليهم الهوان: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

وهذا التقابل بين التحذير والتطمين، وهذا التوازن بين استشارة حاسة الحذر، وسكب فيض الثقة هو طابع هذا المنهج في تربية النفس المؤمنة، والصف المسلم في

(١) جامع البيان، ١٠/٣٣٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢٢٤٠.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِيهِم بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ [سبأ: ١٥ - ٢١].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فإنهم بطروا عيشهم، وقالوا: لو كان جنى جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيها، فمزقوا بين الشام وسياً، وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكلٍ خمطٍ وأثلٍ، وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ<sup>(٣)</sup>.

فهم كفروا بما كانوا فيه من أمن فأبدلهم الله به خوفاً وتشتتاً وتمزيقاً، وقال ابن كثير: «يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زادٍ ولا ماءٍ، بل حيث نزل وجد ماءً وثمرًا، ويقيل في قريةٍ ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم...، فبطروا هذه النعمة، وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، فجعلهم الله حديثاً للناس، وسمراً يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش

مواجهة العدو الماكر العنيد اللثيم!<sup>(١)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوا جَذْرَكُمْ فَأَنْفِرُوا فِتَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيله<sup>(٢)</sup>.

٣. الأمن من زوال النعمة.

ومن القصص التي ذكر الله فيها زوال نعمة الأمن عن أصحابها:  
﴿قصة سبأ﴾.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهِ بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْءَامِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعُد بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ إِنَّلسٌ ظَنَّمَهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّن

(١) انظر: المصدر السابق ٢/٧٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٣٥٧.

(٣) جامع البيان، الطبري ١٩/٢٦٥.

الهنئيء؟ تفرقوا في البلادها هنا وها هنا»<sup>(١)</sup>.  
 القرية الظالمة المضروب بها المثل.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فكونها آمنة أي ذات أمن لا يغار عليهم، كما قال: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَفُّ النَّاسُ مِّنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].  
 والأمر في مكة كان كذلك؛ لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض، أما أهل مكة فإنهم كانوا أهل حرم الله، والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم<sup>(٢)</sup>.

والمثل الذي يضربه الله لهم منطبق على حالهم، وعاقبة المثل أمامهم، مثل القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله، وكذبت رسوله ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وأخذ قومها العذاب وهم ظالمون.

ويحسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباساً، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقاً؛ لأن الذوق أعمق أثراً في الحس من

مساس اللباس للجسد، وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس، لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي تنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير في قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَفُّ النَّاسُ مِّنْ حَوْلِهِمْ﴾ أَيْ الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُونَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

يقول تعالى ممتناً على قريش فيما أحلهم من حرمة الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي، ومن دخله كان آمناً، فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿لِيَلْبَسَ قُرَيْشٌ ١﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْإِسْتَبَاءِ وَالصَّيْفِ ٢﴾ فليعبدوا ربَّ هذا البيت ٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

وقوله: ﴿أَيْ الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُونَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

أي: أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به، وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد، و﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله، فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله، وألا يشركوا

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، ٥٠٨/٦.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/٢٧٩.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢١٩٩.

إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣١﴾  
 فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ  
 عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا  
 ﴿٣٢﴾ أَوْ يُصِيعَ مَاءً غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا  
 ﴿٣٣﴾ وَأُحِيطْ بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَفْلُكْ كَفَيْتَهُ عَلَىٰ مَا  
 أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ  
 أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٤﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَبْصُرُونَهُ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٣٥﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ  
 الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٣٦﴾ [الكهف: ٣٤ -  
 ٤٤].

فقول الظالم: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ  
 أَبَدًا﴾ اغترارٌ منه لما رأى فيها من الزروع  
 والشمار والأشجار والأنهار المطردة في  
 جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفتنى ولا  
 تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقله عقله،  
 وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا  
 وزيتها، وكفره بالآخرة<sup>(٢)</sup>.

تجيء قصة الرجلين والجنيتين تضرب  
 مثلاً للقيم الزائلة، والقيم الباقية، وترسم  
 نموذجين واضحين للنفس المعترزة بزينه  
 الحياة، والنفس المعترزة بالله.

وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من  
 الناس: صاحب الجنيتين نموذج للرجل  
 الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى  
 الله ونعماءه، ويحسب هذه النعمة خالدة لا  
 تفتنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه

به، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره،  
 فكذبوه وقتلوه وأخرجوه من بين ظهرهم؛  
 ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم،  
 وقتل من قتل منهم بدير، وصارت الدولة لله  
 ولرسوله وللمؤمنين، ففتح الله على رسوله  
 مكة، وأرغم أنوفهم، وأذل رقابهم<sup>(١)</sup>.

إن سنة الله ماضية، من أعرض عن  
 شكر الله تعالى، وعن العمل الصالح وعن  
 التصرف الحميد في نعم ربه عليه، فهو حري  
 بسلب هذا الرخاء وإبداله جوعاً، وسلب  
 نعمة الأمن وإبدالها خوفاً.

✽ أصحاب الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْتُمُوهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ  
 إِذْ أَقْبَمُوا بِبَصَرِهَا مَصْبِيحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ  
 عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾  
 [القلم: ١٧ - ٢٠].

✽ صاحب الجنيتين.

قال تعالى: ﴿وَكَاذِبًا كَثِيرًا أَذًى بَشِيرًا  
 وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣١﴾  
 وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ  
 تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٢﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً  
 وَلَئِنْ رُودتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا  
 ﴿٣٣﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي  
 خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٤﴾  
 لَلَّيْنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٥﴾  
 وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٧/٥.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٩٥/٦.

نموذج للرجل المؤمن المعتر بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكوره، لا لجحوده وكفره.

جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر، إنه المنظر البهيج والحيوية الدافقة والمتاع والمال، وها هو ذا صاحب الجنتين تمتلئ نفسه بهما، ويزدهيه النظر إليهما، فيحس بالزهو، وينتفش كالديك، ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير: ﴿فَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى الجنتين، وملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور، وقد نسي الله، ونسي أن يشكره على ما أعطاه، وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تبيد أبداً، أنكر قيام الساعة أصلاً، وهبها قامت فسجد هنالك الرعاية والإيثار! أليس من أصحاب الجنان في الدنيا؟! فلا بد أن يكون جنباه ملحوظاً في الآخرة! ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

إنه الغرور يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتاع والثراء أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في

الملا الأعلى! فما داموا يستطيعون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ! فأما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا نفر، ولا جنة عنده ولا ثمر فإنه معتر بما هو أبقى وأعلى، معتر بعقيدته وإيمانه، معتر بالله الذي تعنوا له الجباه فهو يجبه صاحبه المتبطر المغرور منكراً عليه بطره وكبره، يذكره بمنشئه المهين من ماء وطن، ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق المنعم، وينذره عاقبة البطر والكبر، ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَيْكَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَبُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَصَبَّ رَيْحًا أَنْ يُؤَتِّيَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٧-٤١].

وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالي المال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم، وهو يطمع في فضل الله، وأن

## آثار الأمن على الفرد والمجتمع

لاستقرار الأمن آثار على الفرد وعلى المجتمع منها: الهداية، وسعة الرزق ورغد العيش، ومنها: النجاة من العذاب الأليم في الآخرة، وسوف نتناول ذلك بالبيان فيما يأتي:

أولاً: الهداية إلى أقوم السبل، وتوفير السكينة والاطمئنان:

إن تتبعنا لمفهوم الأمن يوصلنا إلى حقيقة مفادها أنه مستقر في القلب، ومدار مادة (أمن) في اللسان العربي على سكينه يطمئن إليها القلب بعد اضطراب، وقول الراغب الأصفهاني يكاد يكون جامعاً لما في غيره مع تدقيق، يقول: «أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، وأمن: إنما يقال على وجهين:

أحدهما: متعدياً بنفسه، يقال: آمنت، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله: مؤمن.

والثاني: غير متعد، ومعناه: صار ذا أمن، والإيمان هو التصديق الذي معه أمن»<sup>(٢)</sup>.

كأن الإمام الراغب لا يتصور أن يكون هناك مؤمن وليس عنده أمن، أي سكينه واطمئنان، أي استقرار لا اهتزاز ولا اضطراب ولا قلق ولا حيرة؛ لأنه مطمئن

نقمة الله جبارة، وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين.

وفجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر، والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

وهو مشهد شاخص كامل، الثمر كله مدمر، كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة، وصاحبها يقلب كفيه أسفاً وحزناً على ماله الضائع وجهده الذاهب، وهو نادم على إشراكه بالله، يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته، ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان<sup>(١)</sup>.

(٢) المفردات ص ٩٠.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٧٠.

إلى ربه ﴿أَلَا يَنْصُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

فالمدار إذن على وجود سكينه في القلب في جميع ما دارت فيه المادة سواء في صورة (أمن) أو (آمن) المتعدي واللازم، المدار على هذه السكينه وعلى هذه الطمأنينة التي تأتي في حقيقتها بعد نوع من القلق والاضطراب، وتأتي بعد قدر من الخوف، وهذا الخوف عبر عنه بالخوف نفسه، وعبر عنه بالبأس، وعبر عنه بالفرع ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وعبر عنه بألفاظ أخرى غير هذه الألفاظ، ولكن مؤداها جميعاً هي أنها تحدث لدى الإنسان ضرباً من الخوف، فإذا جاء الأمن أزال ذلك الخوف، هذا الأصل وهذا المدار الذي تدور عليه المادة يجعلنا نتجه إلى أن المعنى الذي للأمن هو أنه حال قلبية تجعل المتصف بها في الدنيا يرتاح ويطمئن، والموصوف بها في الآخرة يسعد وتحصل له السعادة الأبدية.

إن أثر الإيمان حسب النصوص الشرعية يطمئن النفوس، ويهدئ المجتمعات من القلاقل، والفتن والأزمات، في أمور كثيرة، اضطربت فيها أنظمة الأمم، وتباينت فيها الآراء رغبة في وجود حل، والقضاء على

مشكلة، أجد أن هذا الحيز لا يفياها كلها، ولكن حسبنا الإشارة إلى نماذج منها مثل:

✽ الأمن الزراعي وتوفير الغذاء. ونجد هذا في آيات كثيرة في كتاب الله الكريم، مثل سورة يوسف والنحل وغيرهما.

✽ الأمن الأسري ورباط الزوجية. كما في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

✽ الأمن العائلي والاهتمام بالأولاد. كما جاء في سورة النساء في تقسيم الثركات.

✽ الأمن في الأوطان وحمايتها، والأمن الأخلاقي وتهذيب النفوس.

كما جاء في آيات سورة في تحريم الزنا، ومنع الخوض في أعراض الناس، وفي آداب الاستئذان، وفي فرضية الحجاب وآياته في سورة الأحزاب.

✽ أمن العقيدة وسلامة القلوب لارتباطها بالله وحده، ونبذ كل ما سواه.

يقول تعالى في هذا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا ﴿١١﴾  
 وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِثْ فِي الْأَرْضِ مَرْغَمًا كَثِيرًا  
 وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ  
 غَفُورًا رَحِيمًا ﴿النساء: ٩٧ - ١٠٠﴾.

ولكي يجعل الله مأمنا ومخرجا لهؤلاء  
 المستضعفين غير القادرين على الهجرة  
 والنجاة بأنفسهم فإن مما يطمئنهم أن  
 الفئة المؤمنة مأمورة بالجهاد لتخليصهم  
 ونصرتهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأَ تَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ الَّذِينَ  
 يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا  
 وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
 نَصِيرًا ﴿النساء: ٧٥﴾.

❖ الأمن بالتوبة.  
 وهذا هو أمن المصير، وراحة النفس  
 في الدنيا بالابتعاد عن أمر يورق النفس،  
 ويخيفها التلبس به، وآيات التوبة في كتاب  
 الله الكريم كثيرة ومتعددة.

❖ أمن النفوس بمجاهدة الكفار؛ لإظهار  
 دين الله، ولإسعاد البشرية بتبليغه.  
 كما توضح ذلك سورة الأنفال وسورة  
 التوبة وسورة البقرة، وغيرها في مواطن  
 كثيرة من كتاب الله؛ لأن قمع أعداء الله  
 وأعداء رسالاته لا يكون إلا بقوة السلاح،  
 ودفاع المجاهدين المتحمسين لإظهار دينه.

وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ  
 تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿الرعد: ٢٨﴾.

وآيات سورة الروم وسورة الواقعة التي  
 تربط الإنسان بخالقه المتصرف سبحانه في  
 جميع الأمور.

❖ أمن المسكن وتوفير المعيشة.  
 وتوضح ذلك آيات متعددة من كتاب الله  
 الكريم كما في سورة النحل.  
 ❖ الأمن الاقتصادي وحرية الحركة في  
 الأموال بيعًا وشراءً، بعد أداء حق الله  
 فيها بالزكاة والصدقة.

وقد حظيت الزكاة والصدقة بتوجيهات  
 كبيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة؛  
 لتهديب النفوس وتعيدها على البذل  
 والعطاء براحة نفس واطمئنان خاطر، وفي  
 السر أكد؛ لأنها أبعد عن المراءاة.

❖ الأمن بالهجرة لمكان آخر إذا كان  
 المرء لا يستطيع أداء شعائر دينه، أو  
 يجد مضايقات من أعداء دينه، وهذا هو  
 الأمن على العبادة.

وقد حكى الله عمن لم ينج بدينه  
 وهو قادر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي  
 أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي  
 الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا  
 فِيهَا فَأَوْلَتْكُمْ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾  
 إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا  
 يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأَوْلَتْكُمْ

عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ  
مُلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ  
رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ  
﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ  
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون: ١-١١﴾

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ  
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ  
الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فلا سعادة لإنسان بلا سكينة نفس،  
ولا سكينة نفس بلا اطمئنان القلب، ومما  
لا شك فيه أن كلاً منا يبحث عن السعادة  
ويسعى إليها، فهي أمل كل إنسان، ومنشود  
كل بشر، والتي بها يتحقق له الأمن النفسي.  
وليس الأمن النفسي بالمطلب الهين،  
فبواعث القلق والخوف والضيق ودواعي  
التردد والارتياب والشك تصاحب الإنسان  
منذ أن يولد وحتى يواريه التراب.

وإن الإسلام ليقوم صرحه الشامخ على  
عقيدة أن الإيمان مصدر الأمان، فالإقبال  
على طريق الله هو الموصل إلى السكينة  
والطمأنينة والأمن؛ ولذلك فإن الإيمان  
الحق هو السير في طريق الله للوصول إلى  
حب الله، والفوز بالقرب منه تعالى .

(١) انظر: أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان،  
محمد الشويعر، مجلة البحوث الإسلامية  
١٨٩/١٧.

وتأمين النفوس من التأثيرات الخفية،  
وحفظها من أثر ذلك كالسحر ونفثات  
الشیطان، كما جاء في المعوذتين، وقل  
هو الله أحد، وآية الكرسي، ففي هذا حرز  
للنفس وأمان لها من المؤثرات النفسية،  
ووساوس الشيطان وأتباعه.

✽ الأمن بالمشورة في كل أمر حتى  
يخف ما على كاهل الإنسان بإعطائه  
للآخرين، فيشاركون في الرأي.

كما في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ  
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾  
[آل عمران: ١٥٩].

وغير هذا من الأمور التي جعلت الشريعة  
الإسلامية فيها حلولاً لكل ما يعترض  
الإنسان في هذه الحياة، حيث يجد المرء في  
المخارج ما يريح نفسه، ويعينه على التغلب  
على المشكلة التي اعترضته؛ لأن في كتاب  
الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما ينير  
الطريق، ويوضح المعالم، ويهدئ النفوس.  
وقد وصف الله الفئة المؤمنة بآيات  
كريمات في مطلع سورة سميت باسمهم،  
أعطتهم صفات مطمئنة ومريحة؛ لأنهم في  
يقين ورضاً.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ  
هُمُ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ  
مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾  
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا

المجتمع كله حد الحراية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣ - ٣٤].

وهكذا كل الشريعة تحفظ على الناس أمنهم بطرق كثيرة، فترتب عليه شيوع الأمن في المجتمع المسلم، ومن ثم يتوفر الناس لأموال دينهم ودنياهم.

ثانياً: سعة الرزق والرخاء:

باستقراء جزئي لبعض نصوص القرآن الكريم نجد اقتراناً وجيهاً بين الأمن والرزق، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وهنا عقوبة بعد امتنان، وهدم بعد تشييد، فيظهر الله منته على عبادة بقوله: ﴿ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فقرن بين الأمن والكفاية في الرزق؛ بل

قال ابن القيم: «إن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل؛ إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا، والله المستعان»<sup>(١)</sup>.

وكذلك شرع الإسلام ما يحمي الإنسان، ويجعله آمناً على نفسه، فحرم الله تعالى قتل النفس بغير الحق، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَيْهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

وفي حماية الأموال قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وظَلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠].

ومن الحدود التي تحافظ على أمن

(١) الفوائد ص ٧٧.

تَنْخَطِفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ تُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا  
ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا  
وَلَكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [القصص:

[٥٧].

فقرن في الامتنان على كفار قريش بين  
الأمن والرزق، وهذا التلازم بين هذين  
المقصدين يقتضى الوقوف عنده كثيرًا.  
وقال تعالى عن دعاء إبراهيم عليه  
السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ  
الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وهنا عندما طلب إبراهيم عليه السلام من  
ربه الحياة الكريمة لمن سيؤول إليه سكن  
مكة، طلب أعز موجود، وأعظم مفقود،  
وهما الأمن والرزق، وهذا دلالة على أنهما  
ركيزتان للحياة الإنسانية الكريمة.

وقدم طلب الأمن على سائر المطالب  
المذكورة بعده؛ لأنه إذا انتفى الأمن لم  
يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين  
والدنيا<sup>(١)</sup>، وهكذا في آيات كثيرة.

وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَائِلٌ  
مُّسْتَضِعُّونَ فِي الْأَرْضِ يخَافُونَ أَنْ يَنْخَطِفَكُمْ  
النَّاسُ فَيَأْخُذُوا بِأَيْدِيكُمْ بِبَصْرِهِمْ وَرِزْقِكُمْ مِّنْ  
الطَّيْبَتِ لَمَّا كُمُتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وفي هذه الآية الكريمة يذكر الله  
أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بأعظم  
متين امتن الله بهما عليهم، وهما الأمن بعد

(١) فتح القدير، الشوكاني ٣/ ١٣٤.

من كمال فضله على أهل هذه القرية زيادة  
على الأمن تفضل عليهم بالطمأنينة، وهي  
الاستقرار النفسي من الداخل، فكانوا في  
أمن من عدو خارجي، واستقرار نفسي  
داخلي، ثم بين أن رزقها يأتيها ليس كفافاً أو  
كفاية؛ بل يأتيها رغداً كثيراً هنيئاً متنوعاً من  
كل مكان، فقد بلغ أهل القرية غاية الأرب،  
ومتهى الطلب في مقصدي الأمن والكفاية،  
فلما كفرت بتلك النعم حرمت من الكأس  
الذي به كان الامتنان، فتبدل الأمن خوفاً  
والرزق جوعاً.

وفي هذه الآية دلالة صريحة على أن  
أعظم المنة على النفس توفير الأمن وكفاية  
العيش.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْمَهَّرَ مِنْ جُوعٍ  
وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

ووردت هذه الآية في معرض المنة  
على كفار قريش في جاهليتهم، فكانوا أعز  
العرب منعة وأكثر هم مهابة، وتجلب لها  
الأرزاق والأنعام من حيث شاءوا.

وقال تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ  
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ  
وَيَبْسُرُ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

فقرن في عقوبة الابتلاء بين الخوف  
والجوع، فبفقدتهما تكون أعظم المصائب  
وأجل الخطوب.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيٌّ مَّكَدَى

الْقَرْيَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَأُضْحَىٰ وَهُمْ يَلْمَعُونَ ﴿٩٨﴾  
 أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا  
 الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف: ٩٦ - ٩٩].

فذكر الله تعالى أن هذه القرى لما كانت  
 آمنة كانت البركات تنزل عليهم، فلما كفروا  
 أبدلهم الله بالأمين خوفاً، وزالت النعمة  
 عنهم.

وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً  
 كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا  
 رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ  
 فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا  
 كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فجعل من مستلزمات الأمن أن رزقها  
 رغداً.

قال الماوردي: «اعلم أن ما به تصلح  
 الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها  
 ملتزمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن  
 تفرعت، وهي: دينٌ متبعٌ، وسلطانٌ قاهرٌ،  
 وعدلٌ شاملٌ، وأمنٌ عامٌ، وخصبٌ دائمٌ،  
 وأملٌ فسيحٌ.

وقال في شرح ذلك: وأما القاعدة  
 الرابعة: فهي أمنٌ عامٌ تطمئن إليه النفوس،  
 وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء،  
 ويأنس به الضعيف، فليس لخائفٍ راحةٌ،  
 ولا لحاذرٍ طمأنينةٌ.

وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنا  
 عيشٍ، والعدل أقوى جيشٍ؛ لأن الخوف

الخوف، والرزق بعد شظف العيش.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
 (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في  
 جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له  
 الدنيا)<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث أصل في هذا الباب،  
 فقد ذكر فيه الدعائم الأساسية في حياة  
 الفرد، وهي تنطبق تباعاً على المجتمعات  
 والتكتلات بكل مفرداتها، وهذه الأسس  
 هي: الأمن والعافية والقوت (الرزق)  
 فمن جوامع الخير وحقوق الأدمية للفرد  
 والجماعة أن يوفر لهم الأمن بكل أنواعه،  
 والرزق بصنوف حاجاته وعلاقاته.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن أعظم طرق  
 الأمن هو الإيمان، فإن الإيمان بالله هو  
 الذي يجعل المجتمع في رغد وسعة من  
 الرزق.

ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ  
 الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ  
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا  
 كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَأْمَنِ أَهْلُ

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد،  
 ١٥٢/٤، رقم ٢٣٤٦، وابن ماجه في سننه،  
 كتاب الزهد، باب القناعة، ١٣٨٧/٢، رقم  
 ٤١٤١.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/  
 ١٠٤٤، رقم ٦٠٤٢.

الخطوب الكبار، فالأمن والعافية قاعدتا النعم كلها، ولا يهناً بشيء منها دونها؛ فليتهض الإمام لهذا المهم، وليوكل بذلك الذين يخفون، وإذا حزب خطبٌ لا يتواكلون، ولا يتجادلون، ولا يركنون إلى الدعة والسكون، ويتسارعون إلى لقاء الأشرار بدار الفراش إلى النار، فليس للناجمين من المتلصقين مثل أن يبادروا قبل أن يتجمعوا أو يتألبوا، وتتحد كلمتهم، ويستقر قدمهم، ثم يندب لكل صقعٍ من ذوي البأس من يستقل بكفاية هذا المهم.

وإذا تمهدت الممالك، وتوطدت المسالك، انتشر الناس في حوائجهم، ودرجوا في مدارجهم، وتقاذفت أخبار الديار مع تقاصي المزار إلى الإمام، وصارت خطة الإسلام كأنها بمرأى منه ومسمع، واتسق أمر الدين والدنيا، واطمأن إلى الأمانة الوري، والإمام في حكم البذرة<sup>(٢)</sup> في البلاد للسفرة والحاضرة، فليكلأهم بعين ساهرة، وبطشة قاهرة<sup>(٣)</sup>.

**ثالثاً: النجاة من عذاب الله في الآخرة:**

(٢) البذرة: الحراس يتقدمون القافلة، وأجر الحراسة، والأمان يعطاه المسافر، وهي كلمة ليست بعربية، وإنما هي كلمة فارسية وعربتها العرب، يقال: بعث السلطان بذرة مع القافلة، والمبذوق: الخفير. انظر: المعجم الوسيط ٤٥ / ١ والقاموس المحيط ص ٨٦٦.

(٣) غياث الأمم، الجويني ص ٢١٢.

يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم؛ لأن الأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل.

ثم قال في الخصب: والخصب يكون من وجهين: خصبٌ في المكاسب، وخصبٌ في المواد، فأما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد، وهو من نتائج الأمن المقترن بها، وأما خصب المواد فقد يتفرع عن أسباب إلهية، وهو من نتائج العدل المقترن بها<sup>(١)</sup>.

وتأمل التلازم الوثيق بين الأمن والرزق، وبين الخوف والجوع، تجده مطرداً في القرآن كله، مما يؤكد أهمية ووجوب المحافظة على الأمن؛ لما يترتب على ذلك من آثار كبرى في حياة الناس وعباداتهم، واستقرارهم البدني والنفسي، وأي طعم للحياة والعبادة إذا حل الخوف؟ بل تتعثر مشاريع الدين والدنيا.

وقال الجويني: «ولا تصفو نعمة عن الأعداء ما لم يأمن أهل الإقامة والأسفار من الأخطار والأغرار، فإذا اضطربت الطرق، وانقطعت الرفاق، وانحصر الناس في البلاد، وظهرت دواعي الفساد، ترتب عليه غلاء الأسعار، وخراب الديار، وهو اجس

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ١٣٣.

لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>. ومن خاف هنا أمن هناك، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف في الدنيا أمن في الآخرة، ولست أعني بالخوف رقة كركة النساء، تدمع العين، ويرق القلب، ثم ينسى على القرب، يعود المرء إلى اللهو واللعب، فهذا ليس من الخوف في شيء، بل من خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا شيئاً طلبه، فلا ينجي إلا خوف يمنع عن معاصي الله تعالى ويحث على طاعته.

ولذلك وعد الله أهل الإيمان بالأمن التام، فقال سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَتَنَاهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمِئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

ففي يوم القيامة في هذا اليوم المفزع الرهيب يكون الأمن والطمأنينة من الفزع جزاء الذين أحسنوا في الحياة الدنيا، فوق ما ينالهم من ثواب هو أجزل من حسناتهم وأوفر ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَتَنَاهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمِئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

والأمن من هذا الفزع هو وحده جزاء، وما بعده فضل من الله ومنة، ولقد خافوا الله في الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة، بل أمنهم يوم يفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّمَّ

من المفهوم القاصر للأمن الذي يحاول الملبسون ترسيخه في أذهان الناس اليوم توجيه الأنظار إلى توفير الأمن على النفس والرزق في هذه الحياة الدنيا فحسب، ونسيان الأمن الحقيقي والسعادة الكبرى في الآخرة، وعدم أو ضعف الحرص على ذلك، وإغفال الأسباب التي توصل إلى الأمن يوم الفزع الأكبر، والفوز بدار الأمن والسلام والتي أعدها الله عز وجل لعباده المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]. إن الأمن يوجب على الإنسان أن يعبد الله، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٥٥:].

وهذه العبادة هي المؤدية للأمن التام في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَسِدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فهؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٩٤.

مَنْ يَأْتِ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾ [فصلت: ٤٠].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذابُ النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقي في النار خيرٌ أم الذي يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله لإيمانه بالله جل جلاله؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافراً»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى ذاكراً أمنهم وهم في الجنة: ﴿وَهُمْ فِي الْعَرْشَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

إشارة إلى دوام النعيم وتأيدته، فإن من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمناً<sup>(٢)</sup>.

فهم في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأسٍ وخوفٍ وأذى، ومن كل شرٍ يحذر منه، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الأمن في الدنيا والآخرة.

موضوعات ذات صلة:

الحذر، الخوف

(١) جامع البيان، ٢٠/٤٤٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/٢٠٩.